

وضع التعليم العربي الإسلامي في السنغال في ظل الحكومات المتعاقبة بعد الاستعمار الفرنسي

مدرس أبو كا

المعهد الإسلامي بدار السنغال.

ملخص البحث

إن التعليم العربي الإسلامي في السنغال قد مر بمراحل عدة بصفة عامة: من الكتاب القديمة ثم المدارس والمعاهد فالمدارس القرآنية المعاصرة (الحديثة).

وأما من ناحية المدارس الحكومية فقد لعبت كل حكومة من الحكومات المتعاقبة بعد الاستقلال دورا خاصا بصفة خاصة في اللغة العربية والتربية الإسلامية ما بين التطوير والتعطيل في المؤسسات التربوية الحكومية.

وعلى هذا فإن هذا البحث يقوم بدراسة موجزة وضع التعليم العربي الإسلامي الذي كان ينتهجه السنغال قبل مجيء الاستعمار الأوروبي، ولما جاء هذا الأخير أبعد كل البعد كل ما له صلة بالعربية عن الإدارة، وحاول اغلاق المدارس القرآنية، ومنع التعليم العربي في المدارس الحكومية. وقبل مغادرته للبلد هيا خلفاءه وأقام في السنغال دولة علمانية نصرانية، ولما تناول هؤلاء زمام قيادة الدولة كأنهم انتهجوا نهجه (المستعمر) حتى ولو اختلفت المشارب، لذا نتساءل: ما موقف رؤساء السنغال تجاه التعليم العربي الإسلامي مع علمنة الدولة؟ ما موقف الشعب السنغالي لدى التعليم العربي الإسلامي؟ ماهي المكانة التي يحتلها التعليم العربي الإسلامي في النظم السياسية السنغالية؟ وللإجابة عن كل هذه التساؤلات، سيتناول البحث وضع التعليم العربي الإسلامي الذي كان يعلمه السنغال قبل الاستعمار ويتعلمه أبناؤه ويسافرون لأجل دراسته رجالا وركبانا، ثم موقف المستعمر تجاه هذا التعليم لنمهد موقف الزعماء السنغاليين الذين قادوا البلد بعد المستعمر، ولنبين المراحل والتطورات التي تجاوزها هذا التعليم والعراقيل التي كانت تواجهها ثم الحلول التي يقترحها المعنيون للوصول إلى نتائج محمودة حتى يعود هذا التعليم إلى المكان الذي يليق به.

الكلمات المفتاحية: التعليم ، السنغال ، الحكومات

Summary

In general, Arab-Islamic education in Senegal has gone through several stages: from ancient books, then schools and institutes, to contemporary (modern) Qur'anic schools.

As for government schools, each of the successive governments after independence played a special role, particularly in the Arabic language and Islamic education, between development and disruption in government educational institutions.

Accordingly, this research briefly studies the situation of the Arab-Islamic education that Senegal followed before the advent of European colonialism. When the latter came, it completely removed everything related to Arabic from the administration, and tried to close Quranic schools and prevent Arabic education in government schools. Before leaving the country, he prepared his successors and established a secular Christian state in Senegal When these people assumed the leadership of the state, it was as if they had followed his (colonial) approach, even if their approaches differed. Therefore, we wonder: What is the position of the presidents of Senegal towards Arab-Islamic education with the secularization of the state? What is the position of the Senegalese people regarding Arab-Islamic education? What position does Arab-Islamic education occupy in Senegalese political systems? To answer all these questions, the research will address the status of the Arab-Islamic education that Senegal taught.

1. المقدمة

إن اللغة العربية جذورا عريقة مع الشعب السنغالي. قد كانت لها نظام جيد واحتلت الإدارة الرسمية لسنوات عديدة، إلى أن ثبتت جذور اللغة الفرنسية السائدة اليوم التي حاول أصحابها السيطرة على الشعب واستغلاله، وكان من أهداف هؤلاء إلغاء لغة الشعب وتقاليدهم وقيمهم وثقافتهم مع دينهم في مزيلة التاريخ، لغرس وتثبيت أهدافهم وتبديل اللغة العربية باللغة الفرنسية، والدين الإسلامي بشريعتهم.

ومع كل هذا فقد صمد الشعب النبيل المسلم للمحافظة على ثقافة لغته ودينه وعاداته. ولما استقر أمر عدو هذه اللغة الجميلة، حاول هذا الأخير إبعادها كل البعد عن كلما له صلة بالإدارة بجميع الوسائل المتاحة له.

لذا لم تشهد اللغة العربية تطورا كبيرا في منهجها ومحتواها ومقررها الدراسي في النظم التربوية السنغالية على الرغم مما شهدته هذه النظم من تطوير وتحديث وعلى الرغم مما تحمله هذه اللغة من فوائد جمة ومطلب الشعب لها. هنا تأتي إشكالية تطوير التعليم العربي الإسلامي لأنه مطلب شعبي سنغالي، ليكون أكثر تجاوبا وملائما لشعب أغلبية المسلم، في بلد مسلم الشعب علمانية الإدارة، في عصر يتقدم بالسرعة، والنظم التربوية تتغير إلى وجه أحسن.

وفي ظل هذا الوضع من الأفكار المقترحة تكون قضية تطوير التعليم العربي الإسلامي والنقاش فيما يطورها نحو الأحسن أكثر فعالية من غيرها. حيث شهد هذا التعليم انتشارا واسعا في ربوع البلد في المدارس الأهلية، في حين يعاني مشاكل التهميش من قبل السلطات التربوية، بدلا من تطويره وادماجه في النظام التربوي الرسمي على الوجه الذي يليق به.

II. إشكالية البحث

فموضوع البحث في التعليم العربي الإسلامي في السنغال واسع جدا يستطيع كل باحث أن يجد فيه ما يسد به رمقه، لأنه تجاوز مراحل عدة ولا يستطيع هذا البحث أن يستوعب جميع المراحل والخطوات، ولكنه سيتناول النقاط المهمة في الأوضاع التي واجهها التعليم العربي حتى تجاوزها والسياسات التي استعملها الحكام تجاه هذا التعليم ما بين التطوير والتعطيل، وما هي أهم النتائج التي وصل إليها التعليم العربي الإسلامي والتي هي في قائمة الانتظار.

III. أسئلة البحث

وعلى ضوء هذه الإشكالية نتساءل: ماهي مكانة اللغة العربية من بين أهداف النظم التربوية؟ ما هي مكانة التعليم العربي الإسلامي لدى الشعب السنغالي؟ ماهي العلاقة بين اللغة العربية وبين نظيرتها أو ضررتها (اللغة الفرنسية) لدى الحكومة؟ هل يمكن الجمع بين التربية الإسلامية وعلمانية الدولة؟ ماهي أهداف ادماج تعليم العربي الإسلامي من بين أهداف النظم التربوية السنغالية؟

IV. أهمية الموضوع

تكمُن أهمية هذا البحث حول التعليم العربي الإسلامي في النظام الحكومي لأنه مطلب شعبي أصيل، وأن هذا التعليم يقوم ببناء الانسان السوي والمواطن الصالح، ويساعد المواطن السنغالي الحفاظ على هويته وثقافته وقيمه، ويمكن أيضا أن يحقق أهداف النظم التربوية التي تنو إلى بناء الانسان السوي في الحاضر وفي المستقبل لرد التحديات والانحراف الخلقي التي تواجه النظم التربوية. وعلى هذا، فإن هذا التعليم لا يمكن تجاهله لأنه أصبح جزءا من ثقافة الشعب السنغالي، وهو قادر على تلبية مطالب الشعب.

V. أسباب اختيار الموضوع

وقد وقع الخيار على قضية اللغة العربية التي من أبرز القضايا التربوية لدى الحكومة، لأسباب عدة منها:

- أنني أهل هذا التعليم وخاصته والمدافعون عنه بالإضافة إلى أنني من مدرسيه.
- إن قضية تطوير التعليم العربي الإسلامي مطلب شعبي.
- إن للتعليم العربي الإسلامي دورا كبيرا ومكانة مرموقة لبناء المواطن الذي يرنو إليه كل نظم تربوية جادة.
- لا يمكن التجاهل أن الحكومة ورثت الإدارة الفرنسية على تهميش هذا التعليم - وإن حاولت تطويرها.
- أهمية التعليم الإسلامي في بناء شخصية الانسان السوي.

VI. أهداف الدراسة

يهدف هذا البحث إلى دراسة نظام التعليم العربي الإسلامي في السنغال بإبراز أهم التطورات التي شهدتها هذا التعليم في جميع الحكومات المتعاقبة من جهة، ومن جهة أخرى دراسة أوضاعه وتقديم وصايا تطوره.

VII. المنهجية

في هذه الدراسة سأعتمد على المنهج التحليلي الوصفي، وذلك بتتبع الدراسات التي لها صلة حول الموضوع من بحوث علمية وتقارير، وعروض، ووثائق رسمية، ومحاضرات، للوقوف على تاريخ هذا التعليم وعلى دوره في المجتمع السنغالي، وللوقوف على تطور هذا

التعليم في المنهج التعليمي والأوضاع التي تواجهه والتحديات. وإلى جانب هذه الدراسة نقوم بتحليلها من جهة، ومن جهة أخرى نقوم بإجراء مقابلات للوصول إلى التطوير المطلوب لدى الجميع وحل المشكلات التي تعانيها هذا التعليم.

VIII. الخطة

وهذه الخطة هي التي ستبين لنا أساس الموضوع وما السبيل للوصول إلى غايته:

البحث تقوم بمباحث ثلاثة، إلى جانب المقدمة وما فيها من إشكالية البحث، والأسئلة وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره وأهدافه، ثم التوصيات فالخاتمة فالمصادر والمراجع. في المبحث الأول، تناولت التعليم العربي الإسلامي في الحكم الاستعماري، وجاء المبحث الثاني، في وضع اللغة العربية بعد المستعمر (حكام السنغال)، والمبحث الثالث تكملة للذي قبله، وهو وضع المستعربين بعد الإدماج، والمبحث الأخير، جاء لتحقيق ما مهده المبحث الثالث، وهو إدراج تعليم الإسلام في المدارس الحكومية.

المبحث الأول: وضع التعليم العربي الإسلامي في الحكم الاستعماري

كان التعليم العربي الإسلامي -ولا يزال- سائدا في السنغال، وكان عبارة عن الخلاوي القرآنية، وهي تسمى بـ"دار" (Daara) باللغة المحلية.

ولقد ساد هذا التعليم في السنغال عدة قرون قبل أن يحل النظام الحالي، وكان هدف تعليم اللغة العربية في هذه الخلاوي هو تحصيل العلوم الإسلامية وشريعتها من فقه وتفسير وحديث وأصول... وقد انتشر هذا التعليم في ربوع البلد وانتشر الإسلام بانتشاره، لأنهما وجهان لعملة واحدة ويحلان معا ويرتحلان معا.

وذلك لأن تعليم القرآن واجب ديني واللغة العربية هي لغة القرآن ولا يمكن الاستغناء عنها في تعليم الدين.

لأجل ذلك انتشرت المدارس القرآنية في السنغال قبل مجيء الاستعمار المستبد. وحارب هذا الأخير هذا التعليم بأساليب عدة. ومع ذلك بقي هذا التعليم راسخا في المجتمع السنغالي المسلم، على الرغم من محاولة الاستعمار والقضاء عليه¹. ومع مرور الزمن انقسم هذا التعليم إلى قسمين يسييران معا: المجالس والمدارس.

1- المجالس هي عبارة عن تعليم القرآن وتحفيظه في حلقات، ثم تعلم المبادئ الدينية وهو تعليم أصيل وعريق في السنغال، وليست منظمة على شكل فصول، والدراسة فيها مجانية، ومن أبرز هذه المدارس: مدرسة بير Pir، مدرسة، كوكي Koki، ومدرسة جامل Diamal، وامبوكي جاوي Mbokki Diawé، ومدرسة مالك الأول في بندو Boundu ومدرسة تيلنج Thielogne، وفي فوتا مدارس كثيرة، وفي سان لويس أيضا مدارس قرآنية كثيرة، وكان مناهج التعليم في هذه المدارس: -القرآن، والفقه، وأصول الفقه، والنحو، واللغة، والأدب²... وللأسف قد عانت هذه المدرسة معاناة وعداوة كثيرة من قبل السلطات الاستعمارية، ولما تولى فيدربر الحكم في سنة 1857م. اصدر قرارا صارما ومنع فتح المدارس القرآنية إلا بالرخصة³. وتبع منهجه الحاكم فاليري Valière، في قرار 28 فبراير 1870، والحاكم شوجي Chaudié في قرار 09 مايو 1896، وهذا الأخير تجرأ إلى حد منع المدرسة القرآنية منعا باتا من قبول الأطفال الذين يتراوح أعمارهم (6-15)، ومنع المدارس القرآنية من العمل في ساعات عمل المدرسة الفرنسية، والحاكم كاميل غي Kamel Guye في قرار 15 يوليو 1903م، ذهب إلى أبعد ما ذهب إليه سابقوه مثل تعميم الرقابة المدرسة القرآنية في ربوع البلاد بدلا من الاكتفاء على المناطق الأربعة (دكار، غوري Goré، روفيسك Rufisque، سان لويس Saint Louis) وإغلاق جميع المدارس التي يقل عدد تلاميذها عن 20 تلميذا، ونسخ الحاكم فرانسوا كلوزيل قرار كاميل غي بقرار 25 يناير 1917م الذي يرى بعض الباحثين أنه لصاح المدرسة القرآنية وجاء فيه: وضع برنامج دراسي، منع العقوبات الجسدية للأطفال، جولة الرقابة في كل ثلاثة أشهر⁴.

ونفهم من هنا أن هذه القرارات الصارمة لم تمنع من تطور المدرسة القرآنية بل تطورت تطورا باهرا ومدهشا.

¹ بوسو، سام عبد الرحمان، المدارس القرآنية في السنغال الدور والتطوير المطلوب (1960-2017) رسالة الماجستير في الدراسات الإسلامية، 2018م. كلية الأوزاعي، لبنان-بيروت، ص. 35.

² بوسو، سام عبد الرحمان، المصدر السابق، ص. 37-38.

³ دينغ، بابكر، ملف التعليم العربي الإسلامي في السنغال 1854-2018، الطبعة الأولى، ص. 50.

⁴ المصدر السابق، ص. 61-64.

2- المدارس: وهي المدارس العربية الفرنسية وهي تختلف عن الدارات (Daara) (الخلاوي) من حيث الشكل والمضمون والمحتوى، وهي بشكل فصول منظمة، وقد عرقل المستعمر مسير هذه المدرسة. وكان أول تجربة لهذه المدارس في سنة 1925م. وهي مدرسة عربية فرنسية مجانية في منزل الحاج موسى جوب بكار، وقد تعرضت هذه المدرسة بعراقيل من قبل السلطات المحتلة حتى أغلقتها بدعوى عدم الحصول على الرخصة. وحاول السيد لَمْنُ كَبَا حتى فتح مدرسة عربية فرنسية أخرى مرخصة من قبل السلطات الاستعمارية، بتاريخ 12 مارس 1939، وبعد مضي سبع سنوات أغلقتها السلطات المستبدة. وحاول الحاج محمود باه سنة 1941 فتح مدرسة عربية إسلامية بحتة وفشلت هذه المحاولة ولكنها نجحت في سنة 1945م. وفتح مدرسة عربية في ضواحي دكار - بكين Pikine. وفتحت الجالية اللبنانية في السنغال مدرسة عربية فرنسية أخرى سنة 1944م. من قبل السيد سلمان أمون، وأغلقتها المستعمر بعد سنة دراسية بدعوى عدم اعترافها من قبل السلطات المستعمرة المستبدة⁵. وهكذا ظل الشعب السنغالي يَبْنِي وَيَرْقَع وَيُطَوِّر، والمستعمر يَبْنِي وَيَهْدِم وَيُمَزِق وَيُخَلِّف إلى أن حصل البلد ما يسمى بالاستقلال سنة 1960م.

المبحث الثاني: اللغة العربية بعد الاستعمار (حكام السنغال)

ولقد ظل الاستعمار يعرقل التعليم العربي الإسلامي إلى أن حل محله سلطات محليون وتبعوا منهجه لعرقله هذا التعليم، وأدجروا اللغة العربية في البرنامج الرسمي لأهداف دينية وسياسية واقتصادية وحضارية، والهدف السياسي كان له نصيب الأسد من بين هذه الأهداف لأنهم يريدون جلب أبناء الشعب إلى المدرسة الفرنسية، وكان بعض المناطق تشترط وجود مدرس عربي في المدرسة الفرنسية قبل ارسال أبنائهم إليها⁶، وكان المستعمر قد مهد هذه السياسة أعني ادخال التعليم العربي في المدرسة الفرنسية لكسب قلوب الناس إليها ولكنه لم ينجح فيه، وذلك في محاولات منها: مراسلة المبعوث البابوي Préfet Apostolique سنة 1854م. إلى الحاكم بروتي Protêt في تعيين مدرس عربي في المدرسة الكتالوكية بسان لويس تحت إشراف أحد الرهبان بلورز مين، ووافق الحاكم على هذا المشروع ولكنه غادر البلد دون تنفيذه، ولما خلفه فيديره قام بتنفيذ هذا المشروع ما بين 1855 إلى 1859م. ثم توقفت العملية إلى أن استأنفت بتاريخ 1883/06/07م. في مدرسة سان لويس الفرنسية العلمانية⁷. ولما علم المستعمر أن مدرستها رسخت جذورها بدون منافس ألغى التعليم العربي من برنامجه إلى الأبد.

ولما تولى ليوبول سيدار سنغور⁸ Léo Paul Sédar Senghor الحكم سنة 1960م. وجد قضية إدماج التعليم العربي مثيرة جدا، قد وردت فكرة إدماجه في المدارس الحكومة ثلاث سنوات قبل أن يتولى الحكم، وذلك: في مؤتمر الأول الذي عقده الاتحاد الثقافي الإسلامي سنة 1957م. وأرسل هذا الاتحاد إلى مجلس الشعب المحلي بطلب يطالب فيه المجلس بإدماج التعليم العربي في برنامج نظام التعليم الوطني العمومي، وللأسف لم يتم الأمر في هذه المرة كما طلبه الاتحاد.

وفي تاريخ 04 مايو 1960 شارك رئيس هذا الاتحاد في اجتماع المجلس المتعدد الوزارات Conseil interministériels لمناقشة ضرورة إدخال التعليم العربي في المدارس الحكومية الابتدائية بقدالية مالي، ولقد صدر من خلال هذا الاجتماع القرارات التالية:

- ضرورة تنظيم التعليم العربي في المدارس الحكومية على أساس كونه مطلباً للغالبية العظمى من المجتمع،
- لا يمكن إدماج التعليم العربي حالياً بشكل أوتوماتيكي داخل المدارس الابتدائية العمومية،
- إدخال التعليم العربي في المستوى الإعدادية كلغة أولى من الفصل الأول على أن يتم توسيعه قدر الإمكان في المستوى الابتدائي والتكويني،
- تأسيس وتطوير مدارس عربية فرنسية في جميع الأقاليم ذات الأغلبية المسلمة،

⁵ بوسو، سام، عبد الرحمان، نفس المرجع، ص. 38-30

⁶ قال، الحاج موسى، اللغة العربية في نظام التعليمي السنغالي، الطبعة الأولى: فبراير 2005م، ص. 66

⁷ دينج، بابكر، نفس المرجع، ص. 68

⁸ وهو رئيس الأول لبلد السنغال بعد الاستقلال.

- دعم المدارس العربية التي تتوفر فيها الظروف التربوية والتنظيمية والتجهيزات اللازمة⁹، ونلاحظ ملاحظتين في هذه القرارات: الملاحظة الأولى: أن أبناء البلد الذين خلفوا الاستعمار انتهجوا منهجه لعرقلة التعليم العربي، والملاحظة الثانية: غياب تعليم الديني تماماً في المدارس الحكومية بل لم يخطر حتى ولو فكرة ذكره هنا، ربما لاعتبارات: الاعتبار الأول: علم المستعربين أن التعليم الديني الإسلامي واللغة العربية يسيران معاً، فوجود اللغة العربية في المدرسة تمهيد للتربية الإسلامية، وهذا إن كان هو السبب، فنصفه صحيح والنصف الآخر خطأ، النصف الذي أعتبره صحيحاً هو إدماج التعليم الديني الإسلامي في المدارس الابتدائية حصل بعد أكثر من أربعين 40 سنة، وذلك سنة 2002 تحت حكم الرئيس عبد الله واد، والنصف الذي أعتبره خطأ هو بعد إصلاحات 2002 في المرحلة الابتدائية لم نلاحظ أي تغيير للتربية الدينية في المرحلة الإعدادية ولا الثانوية في النظام الكلاسيكي علماً بأن المعنيين بالأمر مازالوا يطلبون المزيد من إدراج تعليم الديني في هذه المرحلة، وطلبتهم مازالت في قائمة الانتظار.

الاعتبار الثاني: وهو شبه عكس الأول عدم قدرة التفريق بين تعليم اللغة العربية وتعليم الدين الإسلامي من جهة السلطات، ونلاحظ عكس هذه الفكرة تماماً أثناء حملاتهم الانتخابية، ولقد نادى سنجور في فترة ما قبل الاستعمار إلى وجوب دعم اللغة العربية في السنغال لأنها لغة حضارة وثقافة¹⁰.

وكل هذه العراقيل لم يمنع الاتحاد من مواصلة طلبه لتحقيق أهدافه، ولما فشلت فدرالية مالي، حاول السيد شريف انجاي المسؤول عن شؤون المسلمين في مكتب ممادو جاه (رئيس الوزراء آن ذاك) استغلال فرصة سانحة، وذلك في اجتماع عقده الاتحاد الثقافي الإسلامي برفسك في مايو 1960م. لاستعداد اجتماع مصلحة الخدمات الاجتماعية للسنغال (Service des Affaires Sociales de la République du Sénégal) الذي عقده رئيس الوزراء بمرسوم رقم 60-108 بتاريخ 09 مارس 1960م. للنظر في القضايا والمسائل الاجتماعية للدولة. ورأى السيد شريف انجاي أنه يستطيع استغلال هذا المرسوم فطلب من ممادو جاه ضرورة مشاركة الاتحاد في هذا الاجتماع، فرفض وزير التربية بمشاركة الاتحاد فيه، فأجبره رئيس الوزراء بمشاركة الاتحاد في الاجتماع¹¹. ثم كون الاتحاد وفداً من الأستاذ شيخ توري رئيس الاتحاد في أثناء مؤتمر 1957 و 1958م. وبشير سَمْب مترجم التوصيات باللغة الفرنسية، ودافعاً الفكرة بذكاء وحكمة حتى وافقت اللجنة على المطلب بالأغلبية.

وبعد الموافقة على إدماج التعليم العربي في المدارس العمومية طلب ممادو جاه تنفيذ القرار فوراً، فأصدر قراراً وزارياً بتاريخ 11 يوليو 1960 رقم 6293. وتم إدراجه كمادة اختيارية تدرس خارج أوقات الدراسة الرسمية للغة الفرنسية. ونفهم من هنا أن إدماج هذا التعليم العربي البحتة في البرنامج الرسمي كانت مشكلة كبرى، إذن فما بال إدماج التربية الإسلامية في حكومة ترفض كل الرغبات العربية في برنامجها؟

والأسوأ من ذلك وضعتها خارج النطاق الرسمي أي بعد ساعات العمل اليومي، وهذا منتهى السخرية. ونلاحظ أن هذه الأفكار مازالت قائمة ولقد قام مثل هذه العراقيل بعد خميس عام (1960-2012) وزير التربية الوطنية إبراهيم سَل في الحكومة الحالية¹² بمنع المستعربين الحاملين الشهادة الثانوية العربية، من المشاركة على تجنيد المعلمين الفوج 19 في المرحلة الابتدائية في بلاغ صحفي أصدره بتاريخ 29 مايو 2012م. ولكنه تراجع عن هذا القرار لما هب المستعربون وقاموا بمظاهرات وثورات ضده في المدن الكبرى مثل دكار وتياس، ومثل ذلك فعل نظيره الذي جاء بعده وزير التربية الوطنية سريئ امبائي يتّام ووضع للمستعربين عراقيل حيث حرمهم من تعويضات التي خُصصت لمعلمي المدارس العربية الفرنسية، ومازالت طلبات إعادتها في قائمة الانتظار إلى يومنا هذا.

⁹ دينج، بابكر، نفس المصدر، ص. 381

¹⁰ قال، العاج مزي، نفس المصدر، ص. 46-47

¹¹ دينج، بابكر، نفس المصدر، ص. 387

¹² وهي حكومة ماكي سال.

المبحث الثالث: وضع المستعربين بعد الترسيم

بعد الموافقة على إدراج التعليم العربي في المدارس العمومية، نُظمت مسابقة لتجنيد المعلمين لتدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية بتاريخ 1960/11/03م. تحت إشراف من أساتذة تونسيين وترشح في المسابقة 73 مترشح ونجح منهم ثمانية، وعينوا في المدارس واقتُرح عليهم براتب يساوي 4000 فرنك دون راتب المدرس الفرنسي بكثير الذي يساوي آنذاك 22000 فرنك، فرفضوا هذا الراتب، ولكن مبادوا به أُلح عليهم قبول الراتب لأنه هو الوحيد الذي يؤيد هذه الفكرة في الحكومة، وكان يخاف أن تغتصب السلطات الفرصة وتلغي هذا المشروع إلى الأبد.

ولكن قُدم إليهم راتباً يساوي 18000 وبقوا على هذا الحال لمدة اثنتي عشرة سنة من 1960-1972م. وبعد هذه التعيينات تقوم الحكومة بتعيينات غير شفافية اللهم إلا في عهد الوزير دود انغوم الذي عُين وزيراً للتربية الوطنية بتاريخ 05 أبريل 1973، فأقنع رئيس الجمهورية لوبول سیدار سينغور لاعتبارات سياسية محلية وخارجية بضرورة استئناف تعيين المستعربين، فوافق الرئيس على هذه الفكرة وعين الوزير ثلاث دفعات سنة 1973 عين 75 مدرسا، وسنة 1975 عين 20 مدرسا، وسنة 1977 عين 40، وفي نفس السنة نظم مسابقة لتجنيد المعلمين للمستعربين ونجح فيها 100 معلم ولكنه غادر المنصب قبل تعيينهم، وهؤلاء تم تعيينهم من قبل الوزير عبد القادر فال الذي خلفه وأضاف إليهم مائة معلم آخرين بمسابقة أجراها هو بنفسه، وغادر المنصب وترك على طاولته 40 معلم قد تم اختيارهم - بدون مسابقة ولا اختبار - بطريقة غير شفافية. ولما تولى المنصب السيد إندير تيتام رفض تعيين هؤلاء الأربعين، ورأى أن الطريقة السليمة والصحيحة لإصلاح التعليم العربي هي الترسيم والمساواة أمام القانون وقام بجهود كبيرة لإصلاح التعليم وقام بتنظيم مسابقة وطنية عامة شفافية.

وفي سنة 1995 وضع وزير التربية مشروع التطوع للتربية *Projet de Volontariat de l'éducation* دون مشاركة المستعربين، وبعد السنة الدراسية أقام رئيس الوزراء اجتماعا بمشاركة النقابات لتقييم السنة الدراسية وهي الأولى للمتطوعين، وفي تدخل السيد دود غاي تأسف وتألّم كثيرا بعدم مشاركة المستعربين في مشروع التطوع للتربية، وهذا الموقف النبيل لفت انتباه رئيس الوزراء وقرر إشراك المستعربين في المشروع، ونُظم أول مسابقة للمستعربين المتطوعين سنة 1997م. ونجح فيها خمسون 50 متطوعاً¹³.

ونلاحظ أن المستعربين عانوا مشاكل جمة في المرحلة التي أُدرج فيه التعليم العربي في البرنامج الرسمي: مشاكل سياسية، ومشاكل إدارية، ومشاكل اقتصادية، ونلاحظ أيضا أن الحكومة لم تكن عادلة في حق المستعربين.

المبحث الرابع: إدراج تعليم الإسلامي في المدارس الحكومية.

ولقد عانى التعليم الإسلامي من قبل السلطات المحتلة أكثر مما عاناه التعليم العربي، لأن التعليم الإسلامي هو الذي وقف أمام أهداف المستعمر ويعارضها كل المعارضة، ولما أراد المستعمر احتلال البلاد واستغلال أبنائها ووجد جذور الإسلام ثابتة في نفوس الشعب علم أنه لا يمكنه فرض ثقافته على الشعب إلا بعد قطع جذور هذا التعليم الثابت الراسخ في¹⁴ النفوس والقضاء عليه، فحارب المدرسة القرآنية بأشنع الطرق، وأصدر في فرنسا قرار بتاريخ 07 سبتمبر 1840 يمنع بفتح أية مدرسة قرآنية في الدول المحتلة، ولما تولى فيدربر الحكم أعلن حربا شرسة ضد المدارس القرآنية لكونها عائقا كبرى للمدرسة الفرنسية¹⁵. وظل التعليم الإسلامي يقاوم ضد هذه الضغوطات إلى أن جاءت السلطات المحليون وبقي التعليم الإسلامي مهماشا في التعليم العمومي، وفي المبحث السابق من هذا البحث قلنا بأن فكرة تعليم الدين لم يخطر حتى ولو مرة في اللقاءات التي عقدها الحكومة مع الاتحاد الثقافي الإسلامي التي كانت تدافع عن اللغة العربية وتطلب إدماجها في التعليم العمومي. وفي حكم سينغور لم يحدث أي تغيير إيجابي للتعليم الإسلامي بل كان يحاربه وكان يعتبره مستحيلا، ويُنسب إليه عبارات مشهورة تدل على منعه من إدراج تعليم الدين الإسلامي في المدارس الحكومية " يا مبادو جاّه لا تنس بأن السنغال دولة علمانية فكيف تفكر في تدريس المادة الدينية في المدارس العمومية"¹⁶، كما كان لا يرغب في

¹³ دينج، بابكر، نفس المصدر، ص. 392-393

¹⁵ دينج، بابكر، نفس المصدر، ص. 49

¹⁶ دينج، بابكر، المصدر السابق، ص. 446

المعهد الإسلامي بدار الموجد حاليًا، وتأخرت فترة البناء لمدة إحدى عشرة سنة لأجله، علما بأن بناءه كان مشروعًا واحدًا مع بناء الجامع الكبير بدار الذي انتهى منذ سنة 1964م. ونلاحظ أن علاقة ممدو جاه وسنغور صارت سيئة جدًا لأن ممدو جاه كان يؤيد الدين الإسلامي. ولما تخلى سنغور عن السلطة سنة 1980م. فصار عبْدُ جُوفَ خليفة له تعهد بإدراج التربية الدينية في التعليم العمومي بناء على توصيات الندوات العامة حول التربية والتكوين سنة 1981م. ولكنه سرعان ما نقض هذا العهد. ولما تسلم عبد الله وادُ السلطة عام 2000م. أصدر أوامر سنة 2002 بإدراج التربية الدينية في المدارس الحكومية كمادة اختيارية، وحاول كل المحاولة الممكنة تحت ضغوطات البيوتات الدينية والجمعيات الإسلامية حتى تمكن من تعديل القانون التوجيهي للتربية الوطنية بمرسوم رئاسي رقم 37-2004 بتاريخ 15 ديسمبر 2004م. وفي بداية إدراج التربية الإسلامية في المدارس العمومية أنشئت المدارس العربية الفرنسية الإسلامية، وهي مدارس مزدوج اللغات: مواد اللغة العربية وتشمل: النحو والصرف، الآداب، البلاغة، العروض، والتربية الإسلامية تضم: القرآن وتفسيره، علوم القرآن، والحديث ومصطلح الحديث، والفقه، وأصول الفقه، والتوحيد. ومواد اللغة الفرنسية: التاريخ والجغرافيا، والرياضيات، والعلوم، والفلسفة، والمعلوماتية¹⁷.

وترجع فكرة تأسيس المدرسة العربية الفرنسية إلى رئيس قسم التعليم العربي السابق في الوزارة التربية الوطنية بالسنگال السيد شِنْخُ أمْبُو بمناسبة لقاء تربوي حضره بعض الشخصيات البارزة من مثلي الحكومة، وأشار شيخ أمبو إلى أن الفجوة أو الفارق الموجد بين المجتمع والمدرسة السنغالية يرجع إلى عدم تلبية المدرسة السنغالية لحاجات المجتمع، وعليه يجب إصلاح الوضع بإيجاد نمط آخر من المدرسة السنغالية تلبي الاهتمامات الدينية والدنيوية للسنگاليين لسد هذا الفارق، وكانت هذه الفكرة غريبة لدى السلطات، وظل السيد أمْبُو يدافع عنها بحكمة وحكمة. وأعلن مدير البنك الإسلامي للتنمية سنة 1997 بأنه مستعد لتمويل مشروع بناء مدارس عربية فرنسية عمومية في السنگال. ولما تولى السيد عبد الله وادُ الحكم طلب وزير التربية الوطنية آنذاك من شيخ أمْبُو أن يشارك في لقاءات اللجنة الإقليمية للتنمية الخاصة لإعداد افتتاح السنة الدراسية 2001/2000 ليدافع عن مشروع تأسيس المدارس العربية الفرنسية، وفيه دافع عن أهمية المشروع أمام السلطات والأولياء. ولما تولى السيد مصطفى سورانغ زمام وزارة التربية الوطنية أطلع عليه رئيس القسم العربي هذا المشروع واستحسنه. وأعلن الوزير مشروع الحكومة نحو التعليم العربي الإسلامي في حفل افتتاح الرسمي الذي ورد في جريدة لَسُوْلِي Le Soleil في 28 مارس 2002م. لأسبوعية وطنية نظمها التجمع الوطني للمدارس العربية الفرنسية المرخصة في مركز دوتا سك Douta cek في يومي 27، 28 مارس 2002م. وجاء في خطابه:

- تمويل بنك الإسلامي لمشروع بناء مدارس عربية فرنسية تقدر بـ 6مليار فرنك،
- زيادة اعتبار تعليم اللغة العربية في المدارس العمومية،
- إدراج التربية الدينية في المدارس العمومية،
- إنشاء مدارس عربية فرنسية عمومية،
- إنشاء قسم تعليم عربي إسلامي ثانوي في المعهد الإسلامي بدار،
- تحديث المدارس القرآنية¹⁸،

وفعلا نجح هذا المشروع وفتح ثمانى مدرسة عربية فرنسية ابتدائية في أكتوبر 2002م. ولعبت المدرسة العربية الفرنسية دورًا مهمًا في رفع نسبة التمدرس في السنگال، وتجاوب أولياء التلاميذ هذه المدرسة ببهجة وسرور وتمت وتطورت سريعًا، وقفزت نسبة المدارس والمدرسين المستعربين والتلاميذ قفزة كبيرة نحو التفوق ورفعة نسبة التمدرس بالسنگال. ويبين رئيس قسم التعليم العربي في وزارة التربية الوطنية المفتش عثمان باه جدول إحصائيات المدارس العربية الفرنسية في السنگال كالآتي: عدد المدارس العربية الفرنسية 691 والمعلمون المستعربون فيها 1287 معلمًا¹⁹.

¹⁷ تأليف مجموعة من الباحثين المتخصصين في الدراسات الإفريقية، دراسات في جهود علماء إفريقيا، الجزء الثاني، ص. 100 و152

¹⁸ دينج، بابكر، نفس المصدر، ص. 419، 421

¹⁹ تأليف، مجموعة من العلماء والباحثين المتخصصين في الدراسات الإفريقية، نفس المصدر، ص. 153

وهذه الإحصائيات كانت قبل تجنيد 500 مدرس مستعرب للمرحلة الابتدائية في مسابقة تجنيد الطلاب المعلمين Elève-maitre في المرحلة الابتدائية، وتجنيد 800 مدرس مستعرب في مشروع تجنيد 5000 من قبل الحكومة، وبدون أخذ الاعتبار من المدرسين الذين تخرجوا في مدرسة العليا، وللمدرسة العربية الفرنسية نصيب وافر من كل هؤلاء المدرسين، ولما يتم إحصاء عددهم. وعلى الرغم من الإنجازات والنجاحات الباهرة التي حققتها المدرسة العربية الفرنسية والبهجة والسرور التي أدخلتها في نفوس الأولياء، فإن مستقبلها مهدد: بتحول بعض المدارس العربية الفرنسية إلى مدارس فرنسية بحتة، منع بعض المفتشيات الأكاديمية بافتتاح الثانويات وحتى المدارس الابتدائية، قلة الثانويات العربية الفرنسية في ربوع البلد، تحول بعض التلاميذ إلى المدرسة الفرنسية فرارا من الدروس المترامية أو عدم قدرة مواصلة الدراسة، فرار بعض المعلمين من هذه المدرسة لحرمانهم عن حقوقهم من بعض التعويضات اللازمة لهم.

ix. التوصيات.

بعض طلبات المستعربين التي مازالت في قائمة الانتظار ولقد وعد بها الحكومة: إلحاق المستعربين الحاملين الشهادة الثانوية العربية الإسلامية L-AR بكلية العلوم وتكنولوجيا التربية والتكوين فستيف، فتح قسم اللغة العربية في وزارة التعليم العالي كما هو في وزارة التربية الوطنية، زيادة العاملين المستعربين في مكتب باكوريا علما بأن هناك مستعرب واحد، إدماج التربية الدينية في المرحلة الإعدادية والثانوية في نظام المدرسة الفرنسية العمومية الكلاسيكية، فتح فصول قرآنية في المدرسة الابتدائية الكلاسيكية خلا للهجرة المدارس القرآنية نحو المدن²⁰.

x. الخاتمة.

إن عهد شعب السنغال بالدين الإسلامي لعهد عريق، هذا ما دفعهم إلى التعمق في اللغة العربية وقُدسوها كل تقديس لأنها لغة القرآن الكريم، ودرسوا كلما له صلة بالدين الإسلامي، وجعلوا اللغة العربية لغة رسمية في إدارتهم منذ أن عرفوها إلى أن جاء المستعمر الجائر وألغاه ووضع لها عراقيل، وقام الشعب وقاوم ودافع عنها بأموالهم وأنفسهم وعلمهم إلى أن غادر هذا الغاشم وتولى منصبه حكماء محليون انتهجوا منهجه، وحاولوا محاربتها وتقدموا في إنجاح التعليم الفرنسي وعلمنة الدولة، ولكن الشعب لم يتراجع في طلباته إلى أن أقنع السلطات كرها في إدماج التعليم العربي الإسلامي في المدارس العمومية، وتطور التعليم العربي الإسلامي إلى أن خُصص لها مدارس خاصة أدخلت السرور والبهجة في نفوس أولياء التلاميذ لمواكبتها مع مبتغات المجتمع السنغالي المسلم، وتبرز نتائج تفوق في كثير من الأحيان منافسوها.

المصادر والمراجع

بوسو، سام عبد الرحمان، المدارس القرآنية في السنغال الدور والتطوير المطلوب (1960-2017) رسالة الماجستير في الدراسات الإسلامية، 2018م. كلية الأوزاعي، لبنان-بيروت،
بوسو، سام، عبد الرحمان، منهجنا التربوية: دراسة نقدية، الدورة الشرعية السادسة بمباكي- طوبى، 08 أغسطس 2008م
تأليف مجموعة من الباحثين المتخصصين في الدراسات الإفريقية، دراسات في جهود علماء أفريقيا، الجزء الثاني،
دينغ، بابكر، ملف التعليم العربي الإسلامي في السنغال 1854-2018، الطبعة الأولى،
غاي، شيخ تيجان، الأنيس في تدريس اللغة العربية، الطبعة السادسة.
فال، الحاج موسى، اللغة العربية في نظام التعليمي السنغالي، الطبعة الأولى: فبراير 2005م،
كاه، شارنو، الحبيب، تأملات حول تطور تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم والدعوة الإسلامية في السنغال، دكار-السنغال، 2020
لوح، الدكتور أحمد، التعليم ومناهجه: السنغال نموذجا، نيامي- النجير، 23/05/1430هـ-27/04/2009م.

²⁰ لمزيد من التفاصيل راجع متطلبات النقابة الوطنية لمعلمي اللغة العربية في السنغال اتفاقياتها مع الحكومة في سنة 2018، ومتطلباتها في مؤتمرها العادي في كولاخ بتاريخ 2، 3 أبريل 2021م.